

زِيَارَةُ الْقُبُورِ
وَالْإِسْتِجَارَةُ بِالْمَقْبُورِ

لِلشَّيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

تَحْقِيقُ وَوَدِّ السُّنَّةِ
فَسَّرَ التَّحْقِيقَ بِالذِّكْرِ

دارالهداية للتراث
بطنطا
٢٢١٥٨٧
ص. ب. ٤٧٧

كتاب قد حوى دررا بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيهاً
حقوق الطبع محفوظة
للناشر

دار الصحابة للتراث بطنطا
الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ هـ . ١٩٩٢ م
المراسلات / دار الصحابة للتراث بطنطا .
ش المديرية بجوار محطة بنزين التعاون
ص ب / ٤٧٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١) .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ (٢) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ (٣) .

* أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ . وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

* ثم أما بعد :

فإنه لما كانت دعوة الأنبياء والرسل جميعهم واحدة ؛ ألا وهى الدعوة إلى توحيد رب العالمين ، كانت هذه القضية من الأهمية بمكان بحيث لمجد أن دعوة الرسل جميعهم تنحو منحى واحداً ، وهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل ولقد أخبرنا ربنا تبارك وتعالى

(٢) النساء : ١ .

(١) آل عمران : ١٠٢ .

(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

عن ذلك فقال في كتابه العزيز ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (١) ، وقال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٢)

وعن خطورة وأهمية هذه القضية حدثنا رسول الله ﷺ - فقال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : « يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ »

قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله : أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا » (٣) .

من ذلك وغيره يتبين لنا أهمية قضية التوحيد وخطورتها على الفرد والمجتمع سواء .

ومما يدعو للأسف والحسرة أن نرى معظم البلدان الإسلامية إلا من رحم الله - قد انحرفت عقيدتها عن توحيد ربها فانتشر فيها أنواع من الشرك ؛ كبيره وصغيره ، فنجد الناس فى بلدنا وغيرها من البلاد يفعلون أفعال المشركين دون ردأ وإنكار ، بل ربما يحدث ذلك والله بمباركة بعض الذين يسميهم العامة علماء ؛ فيحضرون معهم الموالد والأعياد والاحتفالات البدعية ، فنجد من يدعو من دون الله تبارك وتعالى ، ومن ينذر لغير الله عز وجل ، ومن يذبح لأوليائه ، ومن يدعون أصحاب القبور ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وشفاء المرضى ، وسلامة الأولاد والمائسة وغير ذلك من الموت والشور والمهالك ، يحدث هذا تحت سمع وبصر من يدعون علماء فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ولما كانت هذه الأمور التى تحدثنا عنها من الخطورة بمكان فلقد تصدى لها العلماء المخلصون على مر العصور والأزمان ، ومن أبرز هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى ، وطيب ثراه - فلقد تصدى لمثل ذلك وغيره من البدع والخرافات والعقائد الباطلة ، الداخلة على ديننا الحنيف ، كما رد على بعض الفرق الضالة مثل الرافضة ومبتدعى الصوفية وغيرها ، وهذه الرسالة التى بين أيدينا تعالج كثيراً من هذه الاعتقادات

(١) النحل : ٣٦ .

(٢) الأنبياء : ٢٥ .

(٣) أخرجه الشيخان فى الصحيحين .

الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان .
واستمراراً على الدرب تقدم دار الصحابة للتراث هذه الرسالة القيمة لتكون خطوة
جديدة لنشر السنة ودحر البدعة .
نسأل الله تعالى أن ينفع بها جميع إخواننا وأخواتنا من المسلمين والمسلمات في جميع
الأرض الإسلامية ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * * *

نبذة مختصرة عن شيخ الإسلام ابن تيمية

* اسمه و نسبه :

هو شيخ الإسلام ، ، المجتهد فى الأحكام ، تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن الحضرم بن محمد بن تيمية الحرانى الحنبلى .

* مولده :

ولد رحمه الله تعالى فى حران ونسب إليها ، وهى من أمهات مدن الجزيرة بين دجلة والفرات سنة ٦٦١ هـ .

* أسرته :

نشأ ابن تيمية فى بيت علم وفقه وديانة ، فقد كان أبوه شهاب الدين أبو أحمد عبد الحلیم إماماً محققاً ، كثير الفنون ، وكان من أنجم الهدى ، كما قال الحافظ الذهبى .

أما جده فهو مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية ، قال عنه الحافظ الذهبى : وكان معدوم النظر فى زمانه ، رأساً فى الفقه وأصوله ، وصنف التصانيف واشتهر اسمه ، وبعد صيته . فهذا هو ابن تيمية ، وها هو أبوه وهذا جده ذرية بعضها من بعض فى العلم والفضل والنبيل ، فرحم الله آل تيمية .

* نشأته وطلبه للعلم :

بعد استيلاء التتار على البلاد عمل والده على الرحيل به وبأخويه إلى دمشق سنة ٦٦٧ هـ ، فبدأ طلب العلم عند والده فأخذ عنه الفقه والأصول ، وسمع من خلق كثير منهم الشيخ شمس الدين ، والشيخ زين الدين بن المنجا ، والمجد بن عساكر ، وقرأ العربية على ابن عبد القوى ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه ، وكذلك عنى بالحديث ، وسمع الكتب الستة والمسند مرات ، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه ، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من سائر العلوم .

ونظر فى الكلام والفلسفة ، وبرز فى ذلك على أهله ، وردده على رؤسائهم وأكابرهم

، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس وهو دون العشرين سنة، وتضلع في علم الحديث وحفظه، حتى قال بعض العلماء:

كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث.

ولقد أمدّه الله تعالى بكثرة الكتب، وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم وبطء النسيان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساها.

* ثناء العلماء عليه :

ترجم له الحافظ الذهبي فقال: شيخنا وشيخ الإسلام وفريد العصر علماً ومعرفة وشجاعة، وذكاء وتنويراً إلهياً، وكرماً ونصحاً للأمة، وأمرأً بالمعروف ونهياً عن المنكر. سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه وكتابته، وخرج ونظر في الرجال والطبقات، وحصل ما لم يحصله غيره، وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال، وخاطر وقاد إلى مواضع الإشكال ميال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث وحفظه، فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين، وأتقن العربية أصولاً وفروعاً، ونظر في العقليات،.. ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأوذى في ذات الله تعالى من المخالفين وأخيف في نصر السنة المحفوظة حتى أعلسى الله تعالى مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكبت أعداءه، وهدى به رجلاً لكثيرة من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته، وأحيا به الشام، بل الإسلام بعد أن كاد ينلثم؛ خصوصاً في كائنة التتار، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلى، فلو حلفت بين الركن والمقام: إنى ما رأيت بعيني مثله، وإنه ما رأى مثل نفسه لما حنثت». أ. هـ.

والكلام في فضله يطول ولا نريد أن نطيل في هذا المقام، فمن أراد أن يقرأ في ترجمة شيخ الإسلام سيجد إن شاء الله تعالى مجلدات كثيرة، فليراجعها من شاء.

* مؤلفاته :

خلف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ثروة فكرية عظيمة ، وقد كان أكثرها رد أهل البدع والإلحاد ؛ كالدهرية والتقدرية والجهمية والمعتزلة والقائلين بوحدة والفلاسفة وغيرهم من أهل الملل والنحل المختلفة ، وقد بلغت هذه المصنفات مبلغاً ع حيث الأهمية وكذلك من حيث العدد الزاخر ، فقد ذكر الحافظ الذهبي المصنفات بلغت حوالى خمسمائة مجلد ، وذكر غير واحد أنها بلغت أربعة آلاف

ومن هذه المؤلفات :

« الصارم المسلول على شاتم الرسول » و « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » تعارض العقل مع النقل و « الإيمان » و « التسوسل والوسيلة » و « نقض المنه السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية » و « منهاج السنة » و « الفتاوى » و « فى سبعة وثلاثين مجلداً .

* فتنته ووفاته :

بلغ شيخ الإسلام ابن تيمية مكانة عظيمة ، لا تدانيها مكانة أخرى عند العامة ، وذلك لورعه وعلمه وفضله ، كما أنه أظهر من الشجاعة ما لا يقدر عليها غيره فى التتار ، فقد قرر بعض العلماء أن الشيخ كان السبب الأول بعد الله عز وجل فى التتار وانتصار المسلمين عليهم ، فارتفعت منزلته عند الولاة والحكام كما ارتفت العامة ، لكن هذه الأحوال لم تعجب الحساد وأصحاب الأهواء وأرباب الفتن ، على تأليب الولاة عليه واتهموه عندهم . لذلك لقي الشيخ من الفتن والهن الكثير ذلك فى سبيل نشر دعوة التوحيد ، وإعلاء كلمة الله وإحياء سنة رسول رب والسموات ، فسجن رحمة الله عليه فى مصر كما سجن فى الشام ، ومع ذلك رحمه الله صابراً شاكراً .

وقد توفى رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ فى السجن بدمشق ، وأخرج إلى جامع فصلوا عليه ، فكان يوماً مشهوداً ، لم يعهد بدمشق مثله ، وبكى الناس بكاءً شاماً واشتد الزحام على نعشه ، ودفن بمقابر الصوفية بعد أن صلوا عليه ، ولقد بلغ من

جنازته حوالى مائتى ألف من الرجال ، وخمسة عشر ألفاً من النساء ، وهكذا تكون عاقبة
المحسنين الطيبين ، يجعل الله لهم لسان صدق فى الناس ، وصدق الإمام أحمد رضى الله
عنه فى حديث له مع أعدائه والحاقدين عليه : قولوا لأهل البدع ، بيننا وبينكم الجنائز » .

وقد رثاه رحمه الله خلق كثير ، من ذلك قصيدة الشيخ عمر بن الوردى ،

* يقول :

عناً فى عرضه قوم سِلاطُ	لهم من نثر جوهره التقاطُ
تقى الدين أحمد خير حبر	خَرُوق المعضلات به تخاطُ
توفى وهو محبوس فريد	وليس له إلسى الدنيا انبساط
ولو حضره حين قضى لألفوا	ملائكة النعيم به أحاطوا

* ويقول :

فيا لله ما قد ضم لحـد	ويالله ما غطى البلاط
هم حسدوه لما لم ينالوا	مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كسالى	ولكن فى أذاه لهم نشاط
وحبس الدر فى الأصداف فخر	وعند الشيخ فى السجن اغتباط

* ويشئى على الشيخ ويقول :

ألم يك فيكموا رجل رشيد	يرى سجن الإمام فيستشاط
إمام لا ولاية كان يرجو	ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاركمو فى كسب مال	ولم يعهد له بكم اختلاط

* ويقول :

سيظهر قصدكم يا حابسيه	وتنبئكم إذا نصب الصراط
-----------------------	------------------------

فها هو مات عنكم واسترحتم
وخلوا واعقدوا من غير رد
فعاطوا ما أردتم أن تعاطوا
عليكم وانطوى ذاك البساط

فرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية .

* * * *

• توثيق الرسالة •

هذه الرسالة

هذه الرسالة التي نقد مها إلى القارئ الكريم ، هي جزء من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - من الجزء السابع والعشرين من ص ٦٤ - ١٠٥ ، وقد طبعت من قبل المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٣ هـ .

ضمن مجموعة رسائل لشيخ الإسلام ، ابن تيمية .

هذا .. وقد عكفنا على مقابلة الطبعتين ، وتحقيق النص ، وتخريج الآيات والأحاديث الواردة بالرسالة قدر المستطاع .. والله نسأل أن ينفع بهذا العمل جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ...
وفى ميزان حسناتنا يوم الدين ... اللهم آمين .

قسم التحقيق بالدار .

بسم الله الرحمن الرحيم

(النص المحقق)

وسئل أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى

عمن يزور القبور ويستنجد بالمقبور في مرض به، أو بفرسه، أو بعيره؛ يطلب إزالة المرض الذي بهم، ويقول: يا سيدي أنا في جيرتك، أنا في حَسْبِكَ (١) فلان ظلمي، فلان قصد أذيتي، ويقول: إن المقبور يكون واسطة بينه وبين الله تعالى؟

وفيمن ينذر للمساجد، والزوايا والمشايخ - حيهم وميتهم - بالدرهم والإبل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك، يقول: إن سَلِمَ ولدى فللشيخ على كذا وكذا، وأمثال ذلك. وفيمن يستغيث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذاك الواقع؟

وفيمن يجيء إلى شيخه ويستلم القبر ويرمخ وجهه عليه، ويمسح القبر بيديه، ويمسح بهما وجهه، وأمثال ذلك؟ وفيمن يقصده بحاجته، ويقول: يا فلان ابيركتك، أو يقول: قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ؟

وفيمن يعمل السماع ويجيء إلى القبر فيكشف ويحط وجهه بين يدي شيخه على الأرض ساجداً؟

وفيمن قال: إن ثم قطباً غوثاً جامعاً (٢) في الوجود؟ أفئتنا

(١) حَسْبُ: من أحسبني الشيء إذا كفاني، قالت امرأة من بني قشير.

ونُقِي وليد الحى إن كان جامعاً ونَحْسبه إن كان ليس بجامع

أى نعطيه حتى يقول حسبي. ومن ذلك قوله تعالى ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الفراء: جاء التفسير يكفيك الله، وكفى من اتبعك. وكذلك قال أبو العباس.

انظر لسان العرب (٣١٢/١). دار صادر

(٢) «قطباً غوثاً جامعاً»، قال المؤلف رحمه الله عن هذه الألقاب المخترعة: «أما

الأسماء على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل «الغوث» الذى بمكة، «الأوتار

الأربعة» و«الأقطاب السبعة» و«الأبدال الأربعين» و«النجباء الثلاثمائة:

فهذه الأسماء ليست موجودة فى كتاب الله تعالى، ولا هى أيضاً مأثورة

عن النبى ﷺ - بإسناد صحيح ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال... ولا

توجد هذه الأسماء فى كلام السلف، كما هى مأثورة على هذا الترتيب =

مأجورين ، وابسطوا القول فى ذلك .

فأجاب :

الحمد لله رب العالمين ، الدين الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له ، واستعانته ، والتوكل عليه ، ودعاؤه لجلب المنافع ، ودفع المضار ، كما قال تعالى : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ﴾ (١) وقال تعالى :

﴿ وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ قل : أمر ربى بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ قل : ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، إن عذاب ريبك كان محظورا ﴾ (٤) قالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة ، قال الله تعالى : هؤلاء الذين تدعونهم عبادى كما أنتم عبادى ، ويرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ، ويخافون عذابى كما تخافون عذابى ، ويتقربون إلىى كما تتقربون .

فإن كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة فكيف بمن دونهم ؟

وقال تعالى : ﴿ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ؟ إنا أعتدنا

٣٠ والمعانى عن المشايخ المقبولين عم الأمة قبولا عاماً ؛ وإنما نجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ ، وقد قالها إما أثر لها عن غيره أو ذكراً .. وقال أيضا : « فأما (لفظ الغوث والغياث) فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره ، لا يملك مقرب ولا نبي مرسل » راجع فى ذلك كتاب « الفتاوى للمؤلف » (١١/٤٣٣) .

(٢) سورة الجن / ١٨

(١) سورة الزمر / ١-٣

(٤) سورة الإسراء / ٥٦ ، ٥٧

(٣) سورة الأعراف / ٢٩

جهنم للكافرين نزلاً ﴿ (١) وقال تعالى : ﴿ قل : ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ (٢) . فيبين سبحانه أن من دعى من دون الله من جميع المخلوقات من الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثقال ذرة في ملكه ، وأنه ليس له شريك في ملكه ، بل هو سبحانه له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، وأنه ليس له عون يعاونه كما يكون للملك أعوان وظهراء (٣) ، وأن الشفعاء عنده لا يشفعون إلا لمن ارتضى ، فنفى بذلك وجوه الشرك .

وذلك أن من يدعون من دونه ! إما أن يكون مالكا ، وإما أن لا يكون مالكا ، وإذا لم يكن مالكا فإما أن يكون شريكاً ، وإما أن لا يكون شريكاً ، وإذا لم يكن شريكاً فإما أن يكون معاوناً وإما أن يكون سائلاً طالباً ، فالأقسام الأول الثلاثة وهى : الملك والشركة والمعانة متفية ، وأما الرابع فلا يكون إلا من بعد إذنه كما قال تعالى : ﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ (٤) وكما قال تعالى : ﴿ وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون !؟ قل : لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ﴾ (٦) وقال تعالى : ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ، أفلاتذكرون !؟ ﴾ (٧) وقال تعالى ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلمهم يتقون ﴾ (٨) وقال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله . ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ، أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ (٩) فإذا جعل من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً كافراً ، فكيف من اتخذ من دونهم من المشايخ

(١) الكهف / ١٠٢ . (٢) سورة سبأ / ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) ظهره : أعوان ، ومنه قوله تبارك وتعالى ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾

(٤) سورة البقرة / ٢٥٥ . (٥) سورة النجم / ٢٦ .

(٦) سورة الزمر / ٤٢ ، ٤٣ . (٧) سورة السجدة / ٤ .

(٨) سورة آل عمران / ٧٩ ، ٨٠ . (٩) سورة الأنعام / ٥١ .

وغيرهم أرباباً؟!

(ما لا يقدر عليه إلا الله لا يجوز أن يطلب إلا منه)(*)

وتفصيل القول : أن مطلوب العبد إن كان من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى ؛ مثل أن يطلب شفاء مريضه من الآدميين والبهائم ، أو وفاء دين من غير جهة معينة ، أو عافية أهله ، وما به من بلاء الدنيا والآخرة ، وانتصاره على عدوه ، وهداية قلبه ، وغفران ذنبه ، أو دخوله الجنة ، أو نجاته من النار أو أن يتعلم العلم والقرآن ، أو أن يصلح قلبه ، ويحسن خلقه ويزكى نفسه ، وأمثال ذلك ، فهذه الأمور كلها لا يجوز أن تطلب إلا من الله تعالى ، ولا يجوز أن يقول الملك ولا نبي ولا شيخ - سواء كان حياً أو ميتاً - اغفر ذنبي ولا انصرني على عدوي ، ولا اشف مريضى ، ولا عافنى أو عاف أهلى أو دابتي وما أشبه ذلك . ومن سأل ذلك مخلوقاً كائن من كان فهو مشرك بربه ، من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها على صورهم ، ومن جنس دعاء النصرارى للمسيح وأمه ، قال الله تعالى : ﴿ وإذ قال الله لعيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذولئى وأمى إلهين من دون الله ﴾ (١) الآية ، وقال تعالى : ﴿ اتخذولأ أحبارهم وربانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ (٢).

(ما يقدر عليه العبد يجوز أن يطلب منه فى بعض الأحوال)(*)

وأما ما يقدر عليه العبد فيجوز أن يطلب فى بعض الأحوال دون بعض ؛ فإن « مسألة الخلق » قد تكون جائزة ، وقد تكون منهيأ عنها قال الله تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب ﴾ (٣) وأوصى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ابن عباس « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » (٤) وأوصى النبى صلى الله عليه وآله وسلم طائفة من أصحابه : أن لا يسألوا الناس شيئاً ، فكان سوط أحدهم يسقط من كفه فلا يقول لأحد

(١) سورة المائدة / ١١٦ .

(٢) زيادة من المحقق

(٣) سورة التوبة ٣١ .

(٤) سورة الشرح / ٨٠٧ .

(٥) حديث إسناده صحيح : أخرجه أحمد (٣٠٧/١) (٢٩٣/١٠) (٣٠٣) والترمذى (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً

ناولنى إياه ، وثبت فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ، وهم الذين لا يسترقون ، ولا يكتونون . ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » (١) والاسترقاء طلب الرقية . ، وهو من أنواع الدعاء ، ومع هذا فقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما من رجل يدعو له أخوه بظهر الغيب دعوة إلا وكل الله بها ملكا كلما دعا لأخيه دعوة قال الملك : ولك مثل ذلك » (٢) ومن المشروع فى الدعاء دعاء غائب لغائب ، ولهذا أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة عليه وطلبنا الوسيلة له ، وأخبر بما لنا فى ذلك من الأجر إذا دعونا بذلك ، فقال فى الحديث : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على فلان من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ، ثم اسألوا الله لى الوسيلة فإنها درجة فى الجنة لا ينفى أن تكون لإلعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد . فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له شفاعتى يوم القيامة » (٣)

(طلب الدعاء من الخى)

ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه ومن هو دونه ، فقد روى طلب الدعاء

(١) حديث صحيح / أخرجه البخارى (١٢٤/٨) ومسلم (١٩٧/١) وعبد الباقى (وأحمد (٣٢١/١) (٣٥١/٢) والترمذى (٢٠٥٦) وابن ماجه (٣٤٨٩) والبيهقى (٣٤١/٩) من حديث عمران بن حصين رضى الله عنه مرفوعاً .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٣٢) وأبو داود (١٥٣٤) وأحمد (٤٥٢/٦) وابن أبى شيبه (١٩٨/١٠) من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه مرفوعاً .

(٣) حديث صحيح : جاء من حديث جابر وأبى سعيد الخدرى وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهم . أولاً : حديث جابر : أخرجه البخارى (١٥٢/١) والنسائى (٢٧/٢) وأبو داود (٥٢٩) وأحمد (٣٥٤/٣) وابن ماجه (٧٢٢) والترمذى (٢١١) والطبرانى فى الصغير (٣٤٠/١) وفى الدعاء (٤٣٠) . ثانياً : حديث أبى سعيد الخدرى أخرجه البخارى (١٥٢/١) ومسلم (٣٨٣) والترمذى (٢٠٨) وأبو داود (٥٢٢) والنسائى (٣٢/٢) وعبد الرزاق (٤٧٨/١) وابن أبى شيبه (٢٢٧/١) والبيهقى (٤٠٨/١) وأحمد (٦/٣) . ثالثاً : حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه مسلم (٣٨٤) وأبو داود (٥٢٣) والترمذى (٣٦١٩) والنسائى (٦٧٩) .

من الأعلى والأدنى ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودع عمر إلى العمرة ، وقال : « لا تنسنا من دعائك يا أخى . (١) لكن النبي ﷺ لما أمرنا بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له ذكر أن من صلى عليه مرة صلى الله بها عليه عشرا ، وأم من سأل له الوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة ، فكان طلبه منا لمنفعتنا في ذلك ، وفرق بين من طلب من غيره شيئا لمنفعة المطلوب منه ، ومن يسأل غيره لحاجته إليه فقط ، وثبت في الصحيح أنه ﷺ ذكر أويسا القرني وقال لعمر : « إن استطعت أن تستغفر لك فافعل » (٢) وفي الصحيحين أنه كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما شيء فقال أبو بكر لعمر استغفر لى ، لكن في الحديث أن أبا بكر ذكر أنه حنق (٣) على عمر ، وثبت أن أقواما كانوا يسترقون ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرقهم .

وثبت في الصحيحين أن الناس لما أجدبوا سألو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستسقى لهم فدعا الله لهم فسقوا ، وفي الصحيحين أيضا : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - استسقى بالعباس فدعا ، فقال : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا قنسينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون (٤) .

وفي السنن أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : جهدت الأنفس ، وجاع

(١) حديث إسناده ضعيف : أخرجه أبو دلود (١٤٩٨) والترمذى (٣٥٥٧) وابن ماجه (٢٨٩٤) والبيهقي (٢٥١/٥) من طريق عاصم بن عبيد الله عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر رضي الله عنه قلت : وإسناده ضعيف من أجل عاصم بن عبيد الله فإنه ضعيف

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم (١٩٦٩/٤) عبد الباقي) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا

(٣) [حنق عليه : اشتد غيظه ، والحنق شدة الاغتيال ، قال الشاعر : ولّى جميعاً ينادى ظله طلقا ثم انتنى مرساً قد آده الحنق انظر لسان العرب (٦٩/١٠) ط دار صادر .

(٤) حديث صحيح لم أقف عليه في صحيح مسلم وأخرجه البخارى (١٠١٠) وابن حبان (٢٨٥٠) / احسان) من حديث أنس رضي الله عنه

العيال ، وهلك المال فادع الله لنا ، فإننا نستشفع بالله عليك (١) وبك على الله (٢) فسبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، وقال : « ويحك !؟ إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك » (٣) فأقره على قوله إنا نستشفع بك على الله . وأنكر عليه نستشفع بالله عليك ؛ لأن الشافع يسأل المشفوع إليه ، والعبد يسأل ربه ويستشفع به

(زيارة القبور المشروعة) (*)

«وأما زيارة القبور المشروعة» فهو أن يسلم على الميت ، ويدعوه بمنزلة الصلاة على جنازته . كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا : « سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم » (٤) وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا

(١) أي لجعل الله شفيعا لنا عندك . وهذا لا يجوز في حق الله تعالى ولذلك أنكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) أي لجعلك شفيعا لنا عند الله ، وهذا يجوز ولكن بضوابطه الشرعية التي نص عليها العلماء ، ولهذا أقره النبي ﷺ انظر في ذلك كتاب التوسل أنواعه وحكمه ، للشيخ الألباني .

(٣) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١٠١٢) ومسلم (١٥٠٧) من حديث أنس رضى الله عنه مرفوها .

(*) زيادة من المحقق

(٤) حديث صحيح : جاء من حديث أبي هريرة وبريدة وعائشة رضى الله عنهم

أولا : حديث أبي هريرة أخرجه مسلم (٢١٨/١) عبد الباقي ومالك (٢٨) زهير داود (٣٢٣٧) والنسائي (٣٥/١) وابن السنن (١٨٩) وأحمد (٣٠٠/٢) و٣٧٥ و٤٠٨

ثانيا : حديث بريرة أخرجه مسلم (٩٧٥) والنسائي (٢٨٧/١) وابن ماجه (١٥٤٧) وابن أبي شيبة (١٣٨/٤) وابن السنن (٥٨٢) وأحمد (٣٥٣/٥ ، ٣٥٩ - ٣٦٠)

ثالثا : حديث عائشة أخرجه مسلم (٩٧٤) والنسائي (٢٨٦ / ١) وابن السنن (٥٩٢) وأحمد (١٨٠/٦) .

فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام» (١) والله تعالى يثيب الحى إذا دعا للميت المؤمن ، كما يثيبه إذا صلى على جنازته ؛ ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل ذلك بالمنافقين ، فقال عز من قائل : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ، ولا تقم على قبره ﴾ (٢) فليس فى الزيارة الشرعية حاجة الحى إلى الميت ، ولا مسألته ، ولا توسله به ؛ بل فيها منفعة الحى للميت ، كالصلاة عليه ، والله تعالى يرحم هذا بدعاء هذا وإحسانه إليه ، ويثيب هذا على عمله ، فإنه ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية ، أو علم ينتفع به من بعده أو ولد صالح يدعو له » (٣).

* * * *

(١) عزاه الهندى فى الكنز إلى تمام والخطيب وابن عساكر وابن النجار عن أبى هريرة رضى رضى الله عنه وقال سنده جيد .

(٢) سورة التوبة / ٨٤ .

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٣١) وأحمد (٣٧٢/٢) والبيهقى (٢٧٨/٦) والبخارى فى شرح السنة (٣٠٠ / ١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً .

فصل

(أقسام سؤال الناس للمقبور) (*)

وأما من يأتي إلى قبر نبي أو صالح ، أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح وليس كذلك ، ويسأله ويستنجده فهذا على ثلاث درجات .

(١) (أن يسأله حاجته ويطلب منه الفعل) (*)

(إحداها) : أن يسأله حاجته ، مثل أن يسأله أن يزيل مرضه ، أو مرض دوابه ، أو يقضى دينه ، أو ينتقم له من عدوه ، أو يعافى نفسه وأهله ودوابه ، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، فهذا شرك صريح ، يجب أن يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل . وإن قال أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله منى ليشفع لى فى هذه الأمور ؛ لأنى أتوسل إلى الله به ، كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه ، فهذا من أفعال المشركين والنصارى ، فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم فى مطالبهم ، وكذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ (١) وقال سبحانه وتعالى ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا ، له ملك السموات والأرض ، ثم إليه ترجعون ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ (٤) فبين الفرق بينه وبين خلقه ، فإن من عادة الناس أن يستشفعوا إلى الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه ، فيسأله ذلك الشفيع ، فيقضى حاجته ؛ إما رغبة ، وإما رهبة ، وإما حياء وإما مودة ، وإما غير ذلك ، والله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع ، فلا يفعل إلا ماشاء ، وشفاعة

(*) زيادة من الحق .

(١) سورة الزمر / ٣ . (٢) سورة الزمر / ٤٣ ، ٤٤ . (٣) سورة السجدة / ٤

(٤) سورة البقرة / ٢٥٥ .

الشافع من إذنه ، فالأمر كله له . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه : « لا تقولن أحدكم : اللهم اغفرلى إن شئت ، اللهم ارحمنى إن شئت ، ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكروه له » (١) . فبين أن الرب سبحانه يفعل ما يشاء لا يكرهه أحد على ما اختاره ، كما قد يكره الشافع المشفوع إليه ، كما يكره السائل المسؤول إذا ألح عليه وآذاه بالمسألة ، فالرغبة يجب أن تكون إليه كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ (٢) والرغبة تكون من الله كما قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ فَارِهِبُونَ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ فَلَاتَخْشَوِ النَّاسَ وَخَشَوِ اللَّهَ ﴾ (٤) وقد أمرنا أن نصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الدعاء ، وجعل ذلك من أسباب إجابة دعائنا .

وقول كثير من الضلال : هذا أقرب إلى الله منى ، وأنا بعيد من الله لا يمكننى أن أدعوه إلا بهذه الوساطة ، ونحو ذلك من أقوال المشركين ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (٥) . وقد روى : أن الصحابة قالوا يا رسول الله : ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله هذه الآية .

وفى الصحيح أنهم كانوا فى سفر وكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً بل تدعون سميعاً قريباً إن الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » (٦) . وقد أمر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وأمر كلاً منهم أن يقولوا ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٧) . وقد أخبر عن المشركين أنهم قالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (٨)

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٩٢/٨) ومسلم (٣٦٧٨) وأبو داود (١٤٨٣) والترمذى (٣٤٩٢) وابن ماجه (٣٨٥٤) والنسائى فى اليوم والليلة (٥٨٨) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه مرفوعاً

(٢) سورة البقرة / ٤٠ .

(٣) سورة الشرح / ٨٠٧٧ .

(٤) سورة البقرة / ١٨٦ .

(٥) سورة المائدة / ٤٤ .

(٦) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٦٩/٤) ومسلم (٢٧٠٤) وأبو داود (١٥٣٨) والترمذى

(٣٣٧١) وابن ماجه (٢٨٣٤) من حديث أبى موسى رضى الله عنه مرفوعاً

(٧) سورة الزمر / ٣ .

(٨) سورة الفاتحة / ٥ .

ثم يقال لهذا المشرك أنت إذا دعوت هذا فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك ، وأقدر على عطاء سؤالك ، أو أرحم بك ، فهذا جهل وضلال وكفر ، وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم فلم عدلت (١) عن سؤاله إلى سؤال غيره ؟ ألا تسمع إلى ما أخرجه البخاري وغيره عن جابر رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : إذا هم أحدكم بأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم : إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى ، وعاقبة أمرى ، فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى ، وعاقبة أمرى ، فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم أرضنى به - قال - ويسمى حاجته (٢) » أمر العبد أن يقول : أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم .

وإن كنت تعلم أنه أقرب إلى الله منك وأعلى درجة عند الله منك فهذا حق ؛ لكن كلمة حق أريد بها باطل ؛ فإنه إذا كان أقرب منك وأعلى درجة منك فإنما معناه أن يثيبه ويعطيه أكثر مما يعطيك ، ليس معناه أنك إذا دعوته كان الله يقضى حاجتك أعظم مما يقضيها إذا دعوت أنت الله تعالى ، فإنك إن كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء - مثلاً لما فيه من العدوان - فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله ، ولا يسعى فيما يبغضه الله ، وإن لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول .

(٢) (أن يطلب منه أن يدعو له) (*)

وإن قلت : هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه إذا دعوته ، فهذا هو « القسم الثانى » وهو أن تطلب منه الفعل ولا يدعوه ولكن تطلب أن يدعو لك ، كما تقول للحى : ادع لى ، وكما كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يطلبون من النبي صلى

(١) عدلت : بمعنى ملت .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٤٠/٣) وأبو دلود (١٥٣٨) والترمذى (٤٨٠) والنسائى (٣٢٥٥) وابن ماجه (١٣٨٣) وأحمد (٣٤٤/٣) والبيهقى (٥٢/٣) من حديث جابر رضى الله عنه مرفوعاً

الله عليه وآله وسلم الدعاء ، فهذا مشروع في الحى كما تقدم ، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول : ادع لنا ، ولا أسأل لنا ربك ، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين ، ولا أمر به أحد من الأئمة ، ولا ورد فيه حديث ، بل الذى ثبت فى الصحيح أنهم لما أجدبوا زمن عمر - رضى الله عنه - استسقى بالعباس ، وقال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فمتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا (١) ولم يجيئوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلين : يا رسول الله ! ادع الله لنا واستسق لنا ، ونحن نشكو إليك مما أصابنا ، ونحو ذلك لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط ، بل هو بدعة ، ما أنزل الله بها من سلطان ، بل كانوا إذ جاءوا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسلمون عليه ، فإذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف ، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ، ويدعون الله وحده لا شريك له كما يدعونه فى سائر البقاع .

(نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد) (*)

وذلك أن فى «الموطأ» وغيره عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٢) وفى السنن عنه أنه قال « لا تتخذوا قبورى عيداً ، وصلوا على حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغنى » (٣) وفى الصحيح أنه قال فى مرضه الذى لم يقم منه : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (٤) يحذر ما فعلوا . قالت عائشة رضى الله عنها وعن أبيها : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجداً ، وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس :

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١٠١٠) وابن حبان (٢٨٥٠) إجماعاً من حديث أنس

رضى الله عنه (*) زيادة من المحقق

(٢) حديث صحيح : أخرجه مالك فى الموطأ (١٨٥/١) عن عطاء بن يسار مرفوعاً ، قلت : وهذا

مرسل صحيح وقد جاء أيضاً من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً . أخرجه أحمد (٢٤٦٦/٢) والحميدى (١٠٢٥) وأبو نعيم فى الحلية (٦/٢٨٣/٧/٣١٧) . قلت : وإسناده صحيح

(٣) حديث صحيح : أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) وأحمد (٣٦٧/٢) عن طريق عبد الله بن نافع

أخبرنى ابن أبى ذئب ، عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً ، قلت : وإسناده صحيح

(٤) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١٩٨/١٥٦/٣) ومسلم (٣٧٧/١) عبد الباقي (البغوى فى

شرح السنة (٤١٥/١) من حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعاً . .

« إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك » (١) وفي سنن أبي داود عنه قال : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » . (٢) .

(فتوى فى بناء المساجد على القبور ، والنذر لها) (*)

ولهذا قال علماؤنا لا يجوز بناء المساجد على القبور ، وقالوا : إنه لا يجوز أن ينذر لقبير ، ولا للمجاورين عند القبر شيعياً من الأشياء ، لا من درهم ، ولا من زيت ، ولا من شمع ، ولا من حيوان ، ولا من غير ذلك ، كله نذر معصية ، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » (٣) واختلف العلماء : هل على الناذر كفارة يمين ؟ على قولين ، ولهذا لم يقل أحد من أئمة السلف : إن الصلاة عند القبور وفى مشاهد القبور مستحبة ، أو فيها فضيلة ، ولا أن الصلاة هناك والدعاء أفضل من الصلاة فى غير تلك البقعة والدعاء ؛ بل اتفقوا كلهم على أن الصلاة فى المساجد والبيوت أفضل من الصلاة عند القبور - قبور

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم (٥٣٢) وأبو عوانة (٤٠١/١) والطبرانى فى « الكبير »

(٢) من حديث جندب بن عبد الله رضى الله عنهما مرفوعاً (١٦٨/٢)

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (٣٢٣٦) والترمذى (٣٢٠) والنسائى (٢٠٤٥) والحاكم (٣٧٤/١) وأحمد البيهقى (٧٨/٤) من طريق محمد بن جحادة قال سمعت أبا صالح يحدث عن ابن عباس فذكره قلت : وإسناده ضعيف من أجل أبى صالح باذام فإنه ضعیف ولكن قد جاء غالب الحديث عن طرق أخرى فلعمن « زائرات القبور » جاء من حديث حسان بن ثابت عند ابن مساجة والحاكم والبيهقى وأحمد « لعن المتخذين على القبور مساجد » متواتر عنه عليه السلام فى الصحيحين كما تقدم ولكن « لعن المتخذين عليها السرج » لا يثبت . وانظر السلسلة الضعيفة لشبخنا الألبانى حفظه الله (٢٢٥)

(*) زيادة من المحقق

(٣) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١٧٧/٨) وأبو داود (٣٢٨٩) والترمذى (١٥٢٦) والنسائى (٣٨٣٩) وابن ماجه (٢١٢٦) وأحمد (٣٦/٦) والبيهقى (٢٣١/٩) من حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعاً .

الأنبياء والصالحين - سواء سميت «مشاهد» أو لم تسم.

وقد شرع الله ورسوله في المساجد دون المشاهد أشياء، فقال تعالى ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾ (١) ولم يقل المشاهد، وقال تعالى ﴿وأنتم عاكفون في المساجد﴾ (٢). ولم يقل: المشاهد، وقال تعالى: ﴿قل أمر ربي بالقسط، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ (٥) وقال صلى الله عليه وآله وسلم «صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين ضعفا» (٦) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة» (٧).

وأما القبور فقد ورد نهي صلى الله عليه وآله وسلم من اتخاذها مساجد، ولعن من يفعل ذلك وقد ذكره غير واحد من الصحابة والتابعين، كما ذكره البخاري في صحيحه، والطبراني وغيره في تفاسيرهم وذكره وثيمة وغيره في «قصص الأنبياء» في قوله تعالى: ﴿وقالوا لا تدرن آلهمتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ (٨). قالوا: هذه أسماء قوم صالحين كانوا من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصناما؟ وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان؛

(٢) سورة البقرة / ١٨٧.

(٤) سورة التوبة / ١٨.

(١) سورة البقرة / ١١٤.

(٣) سورة الأعراف / ٢٩.

(٥) سورة الجن / ١٨.

(٦) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٦٦/١)، مسلم (٢٧٢٠) وأبو داود (٥٥٩) والترمذي (٣٣٠) وابن ماجه (٧٨٦) والدراس (١٩٢/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٧) حديث صحيح: أخرجه البخاري، ١١١/٥٤٤/٥٤٤، فتح/٥٤٤/٥٤٤، مسلم (٣٧٨/١) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعاً.

(٩) عدم تخريجه

(٨) سورة نوح / ٢٣.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد . (٩) .
وانفق العلماء على أن من زار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو قبر غيره من
الأنبياء والصالحين - الصحابة وأهل البيت وغيرهم - أنه لا يتمسح به ، ولا يقبله ؛ بل ليس
في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقييلها إلا الحجر الأسود ، وقد ثبت في الصحيحين ،
أن عمر رضی الله عنه قال : والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني
رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبلك ما قبلتك (١) .

ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركني البيت - اللذين يليان
الحجر - ولا جذران البيت ، ولا مقام إبراهيم ، ولا صخرة بيت المقدس ، ولا قبر أحد
من الأنبياء والصالحين . حتى تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبر سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لما كان موجوداً ، فكرهه مالك وغيره ؛ لأنه بدعة ، وذكر أن
مالكاً لما رأى عطاء (٢) فعل ذلك لم يأخذ عنه العلم ، ورخص فيه أحمد وغيره ؛ لأن ابن
عمر رضي الله عنهما فعله . أما التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقييله
فكلهم كره ذلك ونهى عنه ؛ وذلك لأنهم علموا ما قصده النبي صلى الله عليه وآله
وسلم من حسم مادة الشرك ، وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين .

وهذا ما يظهر الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والرجل الصالح في
حياته ، وبين سؤاله بعد موته وفي مغيبه ؛ وذلك أنه في حياته لا يعبد أحد بحضوره ،
فإذا كان الأنبياء - صلوات الله عليهم والصالحون أحياء لا يتركون أحداً يشرك بهم
بحضورهم ؛ بل ينهونهم عن ذلك ، ويعاقبونهم عليه ولهذا قال المسيح عليه السلام ﴿ ما
قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليه شقيدين ما دمتم فيهم
فلما توفيتني كنتم أنتم الراقبين عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ (٣) وقال رجل

(١) حديث صحيح : أخرجه البخاري (١٦١٠) ومسلم (١٢٧٠)

(٢) هو عطاء ابن أبي رباح الإمام شيخ الإسلام مفتي الحوم ، أبو محمد القرشي ، يقال إنه ولد بالجند ،
ونشأ بمكة ، وقد ولد أثناء خلافة عثمان رضي الله عنه - سنة ٢٧ هـ ، وتوفي بمكة سنة ١١٤ هـ
على الراجح .

روى عبد الحميد الحماسي عن أبي حنيفة قال : ما رأيت قيمن لقيت أفضل من عطاء بن أبي رباح
... انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٧٨/٥) ، صفه الصفوة (٢١١/٢) الأعلام (٢٣٥/٤)

(٣) سورة المائد / ١١٧

للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجمعنتي لله نداءً ؟ ما شاء الله وحده (١) وقال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد » (٢) ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد ولما قالت الجويرية : وفيما رسول الله يعلم ما في غد قال « دعى هذا ، قولى بالذي كنت تقولين » (٣) وقال لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم ؛ إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » (٤) ولما صفوا خلفه قياما . قال « لا تعظموني كما تعظم الأعاجم بعضهم بعضاً » (٥) وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى

(١) حديث إسناده حسن : أخرجه ابن ماجة (٢١١٧) وأحمد (٢١٤/١) من طريق الأجلح الكندى عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس رضى الله عنهما عنه مرفوعاً قلت : وإسناده حسن من أجل الأجلح وهو ابن عبد الله الكندى وهو صدوق إن شاء الله تعالى كما قال الذهبي

(٢) حديث إسناده صحيح : أخرجه ابن ماجة (٢١١٨) وأحمد (٣٩٣/٥) من طريق عبد الله بن يسار عن حذيفة رضى الله عنه مرفوعاً وتابع عبد الله بن يسار ربعي بن حراش أخرجه أبو داود (٤٩٨٠) وأحمد (٣٨٤/٥ ر ٣٩٤ ر ٣٩٨) والبيهقى (٢١٦/٣) :

(٣) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٣٥٢/٢) ر ١٦٦/٩ - ١٦٧) وأحمد (٣٦٠-٣٥٩/٦) والبيهقى (٢٨٩-٢٨٨/٧) من حديث الربيع بنت معوذ رضى الله عنها .

(٤) حديث صحيح أخرجه البخارى (٣٥٤/٦ و ٣٥٥) وأحمد (٢٣٣/١ / ٢٤) والبخارى فى شرح السنة (٢٤٦/١٣) من حديث عمر رضى الله عنه مرفوعاً .

(٥) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (٥٢٣٠) وأحمد (٢٥٣/٥) والطبرانى فى « الكبير » . (٣٣٤/٨) من طريق مسعر عن أبي العنيسى عن أبي العديسى عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن أبي أمامة رضى الله عنه مرفوعاً بلفظ (لا تقرموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً . قلت : وهذا إسناده ضعيف مسلسل بالعلل الأولى : أبو العنيسى قال ابن حجر مقبول أى إذا توبع وإلا فلين . الثانية : أبو العديسى : مجهول الثالثة : أبو مرزوق ليين الرابعة : أبو غالب صدوق يخطيء كما قال ابن حجر .

ثم إنه قد رواه ابن ماجة (٣٨٣٦) من طريق مسعر عن أبي مرزوق عن أبي واثل عن أبي أمامة الباهلى مرفوعاً . قلت : وهذا إسناده ضعيف أيضاً وهو يدل على اضطراب الحديث فإنه قد سقط من هذا الإسناد أبو العنيسى وأبو العديسى وأبو غالب ، وزادها أبا واثل وهذا اضطراب بلا شك .

الله عليه وآله وسلم ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له ؛ لما يعلمون من كراهته لذلك . ولما سجد له معاذ نهاه وقال : « إنه لا يصلح السجود إلا لله ولو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها - من عظم حقه عليها (١) . ولما أتني على بالذنادقة الذين غلوا فيه ، واعتقدوا فيه الإلهية ، أمر بتحريقهم بالنار .

فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه ، وإنما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علواً في الأرض وفساداً ؛ كفرعون ونحوه ، ومشائخ الضلال الذين غرضهم العلو في الأرض والفساد ، والفتنة بالأنبياء والصالحين واتخاذهم أرباباً والإشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم ، كما أشرك بالمسيح وعزير .

فهذا مما يبين الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصالح في حياته وحضوره ، وبين سؤاله في مماته ومغيبه ، ولم يكن أحد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتحرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء ويسألونهم ، ولا يستغيثون بهم ؛ لافي مغيبهم ، ولا عند قبورهم ، وكذلك العكوف .

ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب ، كما ذكره السائل ، ويستغيث به عند المصائب يقول : ياسيدي فلان ! كأنه يطلب منه إزالة ضره أو جلب نفعه ، وهذا حال النصراني في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم ، ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأعلم الناس بقدره وحقه أصحابه ، ولم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك ؛ لافي مغيبه ، ولا بعد مماته .

(١) استاده ضعيف والحديث صحيح : أخرجه أحمد (٢٢٧/٥) وابن أبي شيبة في المصنف (٤/

٣٠٥) ثنا وكيع ثنا الأعمش عن أبي ظبيان

قلت : وهذا إسناد رجاله ثقات لكن أبو ظبيان لم يسمعه من معاذ فإنه لم يلتق معاذ كما قال ابن حزم ولم يدركه ثم إن أحمد وابن أبي شيبة قالا : ثنا ابن .. (نا الأعمش عن أبي ظبيان عن رجل من الأنصار عن معاذ بن جبل به .

فأقطع الحديث بين أبي ظبيان ومعاذ وأن الوساطة بينهما رجل مجهول لم يسمه . أفاده الشيخ الألباني ولكن الحديث قد صح عن عدة من الصحابة منهم أبو هريرة وأنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى فيصح الحديث بذلك إن شاء الله تعالى .

وهؤلاء المشركون يضمون إلى الشرك الكذب ؛ فإن الكذب مقرون بالشرك ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين ﴾ (١) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « عدلت شهادة الزور الإيثارك بالله . مرتين ، أو ثلاثاً ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ، وذلة في الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المفترين ﴾ (٣) وقال الخليل عليه السلام : ﴿ أفكأآلهة دون الله تريدون ؟ فما ظنكم برب العالمين ﴾ (٤).

فمن كذبهم أن أحدهم يقول عن شيخه : إن المرید إذا كان بالمغرب وشيخه بالمشرق وانكشف غطاؤه رده عليه ، وإن الشيخ إن لم يكن كذلك لم يكن شيخاً

وقد تغويهم الشياطين ، كما تغوى عباد الأصنام كما كان يجرى فى العرب فى أصنامهم ، ولعباد الكواكب وطلاسمها من الشرك والسحر ، كما يجرى للتتار ، والهند ، والسودان ، وغيرهم من أصناف المشركين ؛ من إغواء الشياطين ومخاطبتهم ونحو ذلك .

فكثير من هؤلاء قد يجرى له نوع من ذلك ، لاسيما عند سماع المكاء (٥) والتصدية (٦) ؛ فإن الشياطين قد تنزل عليهم ، وقد يصيب أحدهم كما يصيب

(١) سورة الحج / ٣٠ ، ٣١ .

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (٣٥٩٩) والترمذى (٢٣٠٠) وابن ماجه (٢٣٧٢) وأحمد (٤/١٧٨ ، ٢٣٣) والبيهقى (١/١٢١) والطبرانى فى الكبير (٤/٢٤٩) من طريق

العصفري عن أبيه عن حبيب عن النعمان الأسدي عن خريم بن خانك رضى الله عنه مرفوعاً

قلت : وهذا إسناد ضعيف فيه علتان ؛

الأولى أبو سفيان وهو زياد قال ابن حجر مقبول أى عند المتابعة والإفلين . الثانية ؛ حبيب ابن النعمان ك قال ابن حجر مقبول أى عند المتابعة والإفلين

(٣) سورة الأعراف / ١٥٢ .

(٤) سورة الصافات / ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) المكاء : التصغير .

(٦) التصدية : التصفيق .

المصروع ؛ من الإرغاء (١) ، والازبياد (٢) ، والصياح المنكر. ويكلمه بما لا يعقل هو والحاضرون ، وأمثال ذلك مما يمكن وقوعه في هؤلاء الضالين .

(٣) (السؤال بالجاه ونحوه) (*)

وأما (القسم الثالث) وهو أن يقول : اللهم بجاه فلان عندك ، أو ببركة فلان ، أو بحرمة فلان عندك : فاعل بي كذا . وكذا فهذا يفعله كثير من الناس ؛ لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء ، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه ؛ إلا ما رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد ابن عبدا السلام ؛ فإنه أتى : أنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك ؛ إلا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم . إن صح الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم - ومعنى الاستفتاء : قد روى النسائي والترمذى وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول : « اللهم إني أسألك وأتوسل إليك ببيلك نبى الرحمة . يا محمد : يا رسول الله إني أتوسل بك إلى ربى فى حاجتى ليقضيه لى . اللهم : فشفعه فى (٣) » فإن هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته وبعد مماته . قالوا : وليس فى التوسل دعاء المخلوقين ، ولا استغاثته بالمخلوق ، وإنما هو دعاء واستغاثته بالله ؛ لكن فيه سؤال بجاهه

(١) الإرغاء : الصياح وعلو الصوت . وهذا اللفظ يستعمل مع ذوات الحنف . انظر لسان العرب

(٢٤/٣٢٩) ط . صادر .

(٢) الإزباد : ما يظهر على وجه الإنسان من الانفعال أو الغضب . يقول الليث : تزيد الإنسان إذا

غضب وظهر على صماغه زبدتان . انظر لسان العرب (٣/١٩٢) ط . صادر .

(٣) زيادة من المحقق .

(٣) إسناده جيد : أخرجه الترمذى (٣٥٧٨) وابن ماجة (١٣٨٥) وأحمد (٤/١٣٨) والحاكم

(١/٣١٣) كلهم من طريق عثمان بن عمر أن شعبة عن أبى جعفر المدني قال : قال سمعت

عمارة بن نزيمة يحدث عن عثمان بن . وقال الترمذى « حسن صحيح غريب » ورواه أحمد :

ثنا شعبة به ، وفيه الرواية الأخرى ، وتابعه محمد بن جعفر ثنا شعبة به ، وأخرجه الحاكم

(١/٥١٩) وقال صحيح الإسناد وواقفه الذهبى وانظر لزاماً التوسل للشيخ الألبانى حفظه الله .

كما فى سنن ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر فى دعاء الخارج للصلاة أن يقول : « اللهم إلى أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشأى هذا ، فإنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا رياء ولا سمعة . خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تقضى من النار ، وأن تغفر لى ذلوى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » (١)

قالوا فى هذا الحديث أنه سأل بحق السائلين عليه وبحق ممشأه إلى الصلاة والله تعالى قد جعل على نفسه حقاً ، قال الله تعالى : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ (٢) ونحو قوله : ﴿ كان على ربك وعداً مستولاً ﴾ (٣) .

وفى الصحيحين عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له : « يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ فإن حقهم عليه أن لا يعذبهم » (٤) وقد جاء فى غير حديث : « كان حقاً على الله كذا وكذا » ، كقوله : « من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوماً ، فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد فشربها فى الثالثة أو الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال — قيل : وما طينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار » . (٥) .

(١) إسناده ضعيف : أخرجه ابن ماجه (٧٧٨) وأحمد (٢١١/٣) وابن السنن (٨٣) من طريق فضل بن مرزوق عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعاً به ، قلت : وإسناده ضعيف فيه عثمان : الأولى : فضل بن مرزوق وثقه جماعة وضعفه آخرون الثانية : عطية العوفى ضعيف (٢) سورة الروم / ٤٧ . (٣) سورة الفرقان / ١٦ .

(٤) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٤٤٤/٦) ومسلم (٣٠) (٤٩) وأحمد (٢٢٨/٥) من حديث معاذ رضى الله عنه مرفوعاً .

(٥) حديث صحيح : قد جاء الحديث عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم : عبد الله بن عمر ، وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص .
أولاً حديث : عبد الله بن عمر أخرجه الترمذى (١٨٦٣) وأحمد (٣٥/٢) والطيبالس (١٠٩١) من عطاء بن السائب عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه مرفوعاً . وقد رواه عن عطاء (جرير ، معمر ، وهمام) . قلت : وهذا إسناد ضعيف عطاء بن السائب كان قد اختلط وهؤلاء قد سمعوا منه حال اختلاطه . ثانياً : حديث ابن عباس رضى الله عنه أخرجه أبو داود (٣٦٨٠) من طريق إبراهيم بن عمر الصفاتى قال : سمعت النعمان بن بشير يقول : عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعاً . قلت : وهذا إسناد ضعيف من أجل إبراهيم بن عمر الصفاتى فإنه مجهول . ثالثاً : حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه ابن ماجه (٣٣٧٧) وأحمد (١٨٩/٢) وابن حبان (١٣٧٨) والحاكم (١٤٥/٤) وصححه ووافقه الذهبى وهو كما قال .

وقالت طائفة ليس فى هذا جواز التوسل به بعد مماته وفى مغيبه ؛ بل إنما فيه التوسل فى حياته بحضوره ، كما فى صحيح البخارى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس ، فقال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنينا ففتسقينا ، وأنا نتوسل إليك بعم نبينا فاستقنا ، فيسقون (١) . وقد بين عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — أنهم كانوا يتوسلون به فى حياته فيسقون .

(التوسل المشروع) (*)

وذلك التوسل به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم ، فيدعو لهم ، ويدعون معه . ويتوسلون بشفاعته ودعائه ، كما فى الصحيح عن أنس بن مالك — رضى الله عنه — أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان بجوار « دار القضاء » ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائماً . فقال : يا رسول الله ! هلكت الأموال ، وانقطعت السبل . فادع الله لنا أن يمسكها عنا ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام (٢) والضراب (٣) وبطنون الأودية ومنابت الشجر (٤) » قال : وأقلعت فخرجنا نمشى فى الشمس ، ففى هذا الحديث أنه قال . ادع الله لنا أن يمسكها عنا .

وفى الصحيح أن عبد الله بن عمر قال : إني لأذكر قول أبي طالب فى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث قال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للأرامل

فهذا كان توسلهم به فى الاستسقاء ونحوه ، ولما مات توسلوا بالعباس رضى الله عنه ، كما كانوا يتوسلون به ويستسقون ، وما كانوا يستسقون به بعد موته ، ولا فى مغيبه ولا

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١٠١٠) وابن حبان (٢٨٥٠ / إحصان) من حديث أنس رضى الله عنه .

(*) زيادة من المحقق .

(٢) الآكام : جمع أكمة ، وهى : التل . المعجم الوسيط (٢٣ / ١) .

(٣) الضراب : جمع ظرب ، وهو الجبل المنبسط . المعجم الوسيط (٥٩٦ / ٢) .

(٤) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٣٦ / ٣٥ / ١٥ / ٢) ومسلم (٨٩٧) وأبو داود (١١٧٥ / ١١٧٤) والنسائى (١٦٠ / ٣) وابن ماجه (١٢٦٩) وأحمد (١٠٤ / ٣ / ١٨٧) والبيهقى (٣٥٤ / ٣٥٣ / ٣) والبخارى (٤١٤ / ٤) من حديث أنس رضى الله عنه مرفوعاً .

عند قبره ولا عند قبر غيره ، وكذلك معاوية بن أبي سفيان استسقى بيزيد بن الأسود الجرشي ، وقال : اللهم إنا نستشفع إليك بخيارنا يا يزيد ارفع يدك إلى الله ! فرفع يديه ، ودعا ، ودعوا ، فسقوا . فلذلك قال العلماء : يستحب أن يستسقى بأهل الصلاح والخير ، فإذا كانوا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أحسن . ولم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصلاح بعد موته ولا في مغيبه ولا استحبوا ذلك في الاستسقاء ولا في الاستنصار ولا غير ذلك من الأدعية . والدعاء مخ العبادة .

والعبادة مبناهما على السنة والاتباع ، لا على الأهواء والابتداع ، وإنما يعبد الله بما شرع ، ولا يعبد بالأهواء والبدع ، قال تعالى ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ (٢) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور » (٣) .

(الاستغاثة بالأولياء) (*)

وأما الرجل إذا أصابته نائبة أو خاف شيئا فاستغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع ، فهذا من الشرك ، وهو من جنس دين النصارى ، فإن الله هو الذى يصيب بالرحمة ويكشف الضر ، قال تعالى : ﴿ وإن يمسك الله بضرب فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ قل : أرايتكم إن

(١) سورة الشورى / ٢١ . (٢) سورة الأعراف / ٥٥ .

(٣) إسناده صحيح : أخرجه أبو داود (٩٦) والبيهقى (١٩٧/١) من طريق حماد بن سلمة حدثنا سعيد الجريري عن أبي نعمان أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول « اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمن الجنة إذا دخلتها » فقال يابن سئل الله الجنة وتعود به من النار فإني سمعت رسول الله ﷺ يذكره قلت : وإسناده صحيح والجريري كان قد اختلط قبل موته بثلاث سنوات ولكن حماد بن سلمة من الذين سمعوا منه قبل الاختلاط وللحديث شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند أحمد (١٧٣/١٧٢) .

(*) زيادة من المحقق . (٤) يونس / ١٠٧ . (٥) فاطر / ٢ .

أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؛ بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ، وتسون ما تشركون ﴿ (١) . وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ (٢) فبين أن من يدعى من الملائكة والأنبياء وغيرهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً .

فإذا قال قائل : أنا أدعو الشيخ ليكون شفيحاً لى فهو من جنس دعاء النصارى لمريم والأخبار والرهبان . والمؤمن يرجو ربه ويخافه ، ويدعوه مخلصاً له الدين ، وحق شيوخه أن يدعو له ويترحم عليه ؛ فإن أعظم الخلق قدراً هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأصحابه أعلم الناس بأمره وقدره ، وأطوع الناس له ، ولم يكن يأمر أحداً منهم عند الفزع والخوف أن يقول : يا سيدى ! يا رسول الله ولم يكونوا يفعلون ذلك فى حياته ولا بعد مماته ؛ بل كان يأمرهم بذكر الله ودعائه والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم — قال تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ﴾ (٣) وفى صحيح البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - إن هذه الكلمة قالها إبراهيم - عليه السلام - حين ألقى فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وآله وسلم - معنى وأصحابه - حين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم .

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش الكريم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم » (٤) وقد روى أنه علم نحو هذا الدعاء بعض أهل بيته ، وفى السنن أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حز به (٥) أمر قال : « يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث (٦) وروى أنه علم ابنته فاطمة أن تقول : « يا حى يا قيوم يا بديع

(١) سورة الأنعام / ٤٠ / ٤١ . (٢) سورة الإسراء / ٥٦ ، ٥٧ . (٣) سورة آل عمران / ١٧٣ ، ١٧٤ (٤) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١٢٣ / ١١) ومسلم (٢٧٣٠) من حديث بن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً . (٥) حزبه : أصابه وشتت عليه .

(٦) إسناده ضعيف : أخرجه الترمذى (٣٥٢٤) من طريق الرقاشى عن أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعاً وقال الترمذى : هذا حديث غريب يعنى ضعيف . قلت : والرقاشى هو يزيد بن أبان الرقاشى وهو ضعيف .

السموات والأرض ، لا إله إلا أنت ، برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله . ولا
تكلنى (١) إلى نفسى طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك » . (٢)

وفى مسند الإمام أحمد وصحيح أبى حاتم البستي عن ابن مسعود - رضى الله عنه -
عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال :
اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى
قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً
من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور
صدرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى وغمى . إلا أذهب الله همه وغمه ، وأبدله مكانه
فرحاً . قالوا يا رسول الله : أفلا نتعلمهن ؟ قال : ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن (٣) وقال
(١) تكلنى : أى تركنى ، ومن ذلك قولهم : وكله إلى رأيه وكلأ ووكولأ :

تركه ؛ وأنشد ابن برى لراجز :

لما رأيت أغنى راعسى غنم

وإنما وكل على بعض الخدام

عجز وتغزير إذا الأمر أزم .

أراد أن التوكل على بعض الخدم عجز . انظر لسان العرب (١١ / ٧٣٤) ط صادر .

(٢) إسناد ه ضعيف : أخرجه الطبرانى فى الصغير (١٥٩/١) وفى الدعاء (١٠٤٦) من طريق نصر
ابن على ثنا سلمة بن حرب بن زياد الكلابى ثنى أبو مدرك حدثنى أنس بن مالك رضى الله عنه
مرفوعاً .

قلت : وإسناده ضعيف قال الذهبى وقد ذكر سلمة فى الميزان ، مجهول كشيخه أبى مدرك .

(٣) إسناد ه ضعيف : أخرجه أحمد (٤٥٢/١) وابن حبان (٢٣٧٢) وابن أبى شيبه (١٠ / ٢٥٣)
والحاكم (٥٠٩/١) والطبرانى فى الدعاء (١٠٣٥) من طريق فضل بن مرزوق حدثنى أبو سلمة
الجهنى عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود مرفوعاً
وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن مسلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله
عن أبيه فإنه مختلف فى سماعه من أبيه فقال الذهبى وقال أبو سلمة لا يدرى من هو وليس له رواية
فى الكتب الستة وهو كما قال الذهبى وأخرجه أيضا ابن أنس (٣٤٠) من طريق عبد الرحمن
بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن به نحوه .

قلت : وعبد الرحمن بن إسحاق هو الواسطى وهو ضعيف .

لأتمته : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان (١) لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله يخوف بهما عباده ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة وذكر الله والاستغفار (٢) » فأمرهم عند الكسوف بالصلاة والدعاء والذكر والعتق والصدقة ، ولم يأمرهم أن يدعوا مخلوقاً ولا ملكاً ولا نبياً ولا غيرهم .

ومثل هذا كثير في سنته ، لم يشرع للمسلمين عند الخوف إلا ما أمر الله به ؛ من دعاء الله ، وذكره والاستغفار ، والصلاة والصدقة ، ونحو ذلك . فكيف يعدل (٣) المؤمن بالله ورسوله عما شرع الله ورسوله إلى بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، تضاهى دين المشركين والنصارى ؟ .

فإن زعم أحد أن حاجته قضيت بمثل ذلك ؛ وأنه مثل له شيخه ونحو ذلك ، فعباد الكواكب والأصنام ونحوهم من أهل الشرك يجرى لهم مثل هذا ، كما قد تواتر ذلك عمن مضى من المشركين ، وعن المشركين في هذا الزمان . فلولا ذلك ما عبدت الأصنام ونحوها ، قال الخليل عليه السلام : ﴿ واجتنبى وبنى أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ﴾ (٤) .

(١) الكسوف : احتجاب نور الشمس أو نقصانه بوقوع القمر بينها وبين الأرض وهو للشمس كالحسوف للقمر . المعجم الوسيط (٢ / ٨١٩) .

وقال بعض العلماء : إن الكسوف مثل الحسوف ، فيجوز إطلاق اللفظين على الشمس والقمر دون تفریق . ولكن الأظهر في اللغة والأغلب أن الكسوف للشمس والحسوف للقمر قال جرير :
فالشمس طالعة ليست بكاسفة تكي عليك نجوم الليل والقمر .

راجع ذلك إن شئت لسان العرب (٩ / ٢٩٨) ط . صادر .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم - في الحديث « ينكسفان » للشمس والقمر ، فيجوز أن ذلك للتغليب ، والله تعالى أعلم .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٢ / ٥٢٩ فتح) ومسلم (٩٠١) وأبو داود (١٧٧) والنسائي (١٥٠٠) وابن ماجه (١٢٦٣) وأحمد (٦ / ٣٥٤) والبيهقى (٣ / ٣٢١) من حديث عائشة رضی الله عنها مرفوعاً وفى الباب من حديث جابر وابن عباس وأبى مسعود الأنصارى وأبى موسى رضی الله عنهم .

(٣) سورة إبراهيم / ٣٦ .

(٤) يعنى : يحيد ويميل .

(بداية ظهور الشرك في أرض مكة بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام) (*)

ويقال : إن أول ما ظهر الشرك في أرض مكة بعد إبراهيم الخليل من جهة « عمرو بن لحي الخزاعي » الذي رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجر أمعاءه في النار ، وهو أول من سيب السوائب (١) ، وغير دين إبراهيم ، قالوا : إنه ورد الشام ، فوجد فيها أصناما بالبقاء (٢) ، يزعمون أنهم ينتفعون بها في جلب منافعهم ، ودفع مضارهم ، فنقلها إلى مكة . وسن للعرب الشرك وعبادة الأصنام .

والأمور التي حرّمها الله ورسوله : من الشرك ، والسحر ، والقتل ، والزنا وشهادة الزور ، وشرب الخمر وغير ذلك من الحرمات : قد يكون للنفس فيها حظ مما تعده منفعة ، أو دفع مضرة ، ولولا ذلك ما أقدمت النفوس على الحرمات التي لا خير فيها بحال ، وإنما يقع النفوس في الحرمات الجهل أو الحاجة ، فأما العالم يقبح الشيء والنهي عنه فكيف يفعله ، والذين يفعلون هذه الأمور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيه من الفساد . وقد تكون بهم حاجة إليها ؛ مثل الشهوة إليها ، وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة ولا يعلمون ذلك لجهلهم ، أو تغلبهم أهواؤهم حتى يفعلوها . والهرى غالباً يجعل صاحبه كأنه لا يعلم من الحق شيئاً ، فإن حبك للشئ يعمى ويصم .

ولهذا كان العالم يخشى الله (٣) ، وقال أبو العالية سألت أصحاب محمد صلى الله

(*) زيادة من المحقق .

(١) سيب السوائب : قال العلامة جمال الدين القاسمي في تفسير قوله تعالى ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ (المائدة ٨٣) .

« ولا سائبة » : وهي الناقة كانت تسبب في الجاهلية لنذر أو لطواغيتهم ؛ أي تترك ولا تترك ولا يحمل عليها كالبحيرة ، أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث ، ليس بينهن ذكر ، سببت فلم تترك ، ولم يجر وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف .
أو كان الرجل إذا قدم من سفر بعيد ، أو برىء من علة ، أو لجأت دابته من مشقة أو حرب قال : هي (أي ناقتي) سائبة . أ . هـ .

انظر محاسن التأويل للقاسمي (٦/٢١٨٣) ط . دار إحياء الكتب العربية .

(٢) اليلقاء : أرض بالشام ، وقليل مدينة

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (فاطر / ٢٨) .

عليه وعلى آله وسلم عن قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ (١) الآية فقالوا: كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب . وليس هذا موضع البسط لبيان ما فى المنهيات من المفاسد الغالبة ، وما فى المأمورات من المصالح الغالبة ، بل يكفى المؤمن أن يعلم أن ما أمر الله به فهو لمصلحة محضة أو غالبة ، وما نهى الله عنه فهو مفسدة محضة أو غالبة ، وأن الله لا يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم ، ولا نهاهم عما نهاهم بخلاً به عليهم ، بل أمرهم بما فيه صلاحهم ، ونهاهم عما فيه فسادهم ، ولهذا وصف نبيه - صلى الله عليه وسلم - بأنه ﴿ يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ (٢)

(١) سورة النساء / ١٧ .

(٢) سورة الأعراف / ١٥٧ .

(التمسح بالقبور وتقبيله ...) (*)

وأما التمسح بالقبور - أى قبر كان - وتقبيله ، وتمريغ الخد عليه فمنهى عنه باتفاق المسلمين ، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل هذا من الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا : لَا تَلِدُنَّ آلَهُتِكُمْ ، وَلَا تُلِدُنَّ وُدًّا وَلَا سِوَاعَا ، وَلَا يَغُوثٌ وَيَعُوقٌ وَنَسِرًا ، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ (١) وقد تقدم أن هؤلاء أسماء قوم صالحين كانوا من قوم نوح ، وأنهم عكفوا على قبورهم مدة ، ثم طال عليهم الأمد فصوروا تماثيلهم ؛ لا سيما إذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثه به . وقد تقدم ذكر ذلك ، وبيان ما فيه من الشرك ، وبيناً الفرق بين « الزيارة البدعية » التى تشبه أهلها بالنصارى و « الزيارة الشرعية » .

(تعظيم الشيوخ والكبراء بوضع الرأس والانحناء) (*)

وأما وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ وغيرهم ، أو تقبيل الأرض ونحو ذلك ، فإنه مما لا نزاع فيه بين الأئمة فى النهى عنه . ففى المسند وغيره أن معاذ بن جبل رضى الله عنه لما رجع من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « ما هذا يا معاذ ؟ فقال : يارسول الله ! رأيتهم فى الشام يسجدون لأساقفتهم (٢) وبطارقتهم (٣) ، ويدكرون ذلك عن أنبيائهم ، فقال : كذبوا يا معاذ ! لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، يا معاذ أ رأيت إن مررت بقبرى أكنت ساجداً ؟ قال لا - قال : - تفعل هذا » (٤) أو كما قال

(١) سورة نوح / ٢٣ ، ٢٤ .

(*) زيادة من المحقق .

(*) زيادة من المحقق .

(٢) الأسقف (وتخفف الفاء) : رئيس من رؤساء النصارى ، فوق القسيس ودون المطران ، وجمعه أساقفة ، وأساقف . المعجم الوسيط (١ / ٤٥٣) .

(٣) البطارق : رئيس رؤساء الأساقفة ، وجمعة : بطارق ، وبطارقة ، وبطاريق .

(٤) تقدم تخريجه .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

بل قد ثبت في الصحيح من حديث جابر : أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى بأصحابه قاعداً من مرض كان به ، فصلوا قياماً ، فأمرهم بالجلوس ، وقال : « لا تعظموني كما تعظم الأعاجم (١) بعضها بعضاً » (٢) ، وقال « من سره أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ (٣) مقعده من النار » (٤) فإذا كان قد نهاهم مع قعوده - وإن كانوا قاموا في الصلاة - حتى لا يتشبهوا بمن يقومون لعظمائهم ، وبين أن من سره القيام له كان من أهل النار ، فكيف بما فيه من السجود له ، ومن وضع

(١) الأعاجم : العُجم والمُجم خلاف العُرب والعُرب .

وهو علم على الفرس خاصة . المعجم الوسيط (٦٠٧/٢) .

ويقال عَجَمِيّ وجمعه عَجَمٌ ، وخلافه عربيّ وجمعه عرب ، ورجل أعجم وقوم أعجم .

قال الشاعر :

سَلُومٌ لَوْ أَصْبَحَتْ وَسَطَ الْأَعْجَمِ

فِي الرُّومِ أَوْ فَارِسَ ، أَوْ فِي الدِّيَلِمِ

إِذَا لَسَزْنَا لِكُلِّ وَاسِلٍ . انظر لسان العرب (١٢ / ٣٨٥) ط . صادر .

(٢) الذي في الصحيح من حديث جابر رضى الله عنه قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره فالتفت إلينا فرآنا قياماً فأشار إلينا بالقعود . فصلينا بصلاته قعوداً ، فلما سلم قال : « إن كنتم أنفساً لثفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود . فلا تفعلوا أئتموا بأئمتكم . إن صلى قائماً فصلوا قياماً . وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً » رواه مسلم (٤١٣) وقد تقدم الحديث .

(٣) تَبَوَّأَ فلان منزلاً : أى اتخذهُ . وقال القراء : « وفى الحديث « من كذب على متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار » وتكررت هذه اللفظة في الحديث ومعناها : لينزل منزله من النار » أ . هـ .

(٤) إسناده صحيح : أخرجه أبو داود (٥٢٢٩) والترمذى (٢٧٥٦) وأحمد (٩٣/٩١/٤) والبخارى في « الأدب المقرر » (٩٧٧) والطبرانى في الكبير (٣٥٢ / ٣٥١ / ٢٢٠ / ٢٣) والبغوى في شرح السنة (٣٣٣٠) من حديث معاوية رضى الله عنه مرفوعاً .

الرأس ، وتقبييل الأيادى ، وقد كان عمر بن عبد العزيز (١) رضى الله عنه - وهو خليفة الله على الأرض - قد وكل أعوانا يمنعون الداخل من تقبييل الأرض ، ويؤدبهم إذا قبل أحد الأرض .

وبالجمللة فالقيام والقعود والركوع والسجود حتى للواحد المعبود ، خالق السموات والأرض ، وما كان حقاً خالصاً لله لم يكن لغيره فيه نصيب ؛ مثل الحلف بغير الله عز وجل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » (٢) متفق عليه ، وقال أيضاً : « من حلف بغير الله فقد أشرك » (٣) .

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ، الإمام الحافظ العلامة المجتهد العابد الزاهد السيد أمير المؤمنين حقاً أبو حفص .

كان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين رحمة الله علي عليه ، يتنسب إلي عمر بن الخطاب رضى الله عنه من ناحية أمه ، فأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . رضى الله عنهم أجمعين - ولد رحمه الله تعالى سنة ٦٣ هـ ، وكان ثقة مأموناً له له فقه وعلم وورع ، وكان إمام عدل رحمه الله ورضى عنه . وقد تولى المدينة فى إمرة الوليد من سنة ٨٦ هـ إلى سنة ٩٣ هـ . كما تولى خلافة المسلمين سنة ٩٩ هـ فنشر العدل وعمل بشريعة الرحمن حتى عمّت البلاد كلها البركة والخير ،

قال حرمله : سمعت الشافعى يقول : الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز ، وفى رواية الخلفاء الراشدون .

وتوفى رحمه الله بعد أن دس له الحاقدون السم فى الطعام سنة ١٠١ هـ .
انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب (٤٧٥/٧) وسير أعلام النبلاء (١١٤/٥) ، وحلية الأولياء (٢٥٣/٥) ، وصفة الصفوة (١١٣/٢) ، والأعلام (٥٠/٥) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٤٦١/١١) ، ٤٦٢ ، ومسلم (١٦٤٦) وأبو داود (٣٢٤٩) والترمذى (١٥٣٤) والنسائى (٥٢٤/٧) . من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً .

(٣) إسناده صحيح : أخرجه الترمذى (١٥٣٥) وأحمد (٣٤/٢) ، ٦٩ ، ٨٦ ، ٨٧) والحاكم (٢٩٧/٤) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وهو كما قال .

فالعبادة كلها لله وحده لا شريك له ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ﴾ . (١) . وفى الصحيح عن النبي صلى عليه وآله وسلم أنه قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً . وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » (٢) وإخلاص الدين لله هو أصل العبادة .

(نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشرك كبيره وصغيره) (*)

ونبيناً صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن الشرك دقه وجله ، وحقيقه وكبيره ، حتى إنه قد تواتر عنه أنه نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها بألفاظ متنوعة ؛ تارة يقول : « لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها » (٣) . وتارة ينهى عن الصلاة بعد طلوع الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس ، وتارة : يذكر أن الشمس إذا طلعت طلعت بين قرني شيطان (٤) ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ونهى عن الصلاة فى هذا الوقت ، لما فيه من مشابهة للمشركين فى كونهم يسجدون للشمس فى

(١) سورة البينة / ٥ .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم (١٧١٥) ومالك فى « الموطأ » (٩٩٠/٢) وأحمد (٢) / ٣٦٧) والبيهقى (١٦٣/٨) والبخارى فى « شرح السنة » (٢٠٢/١ - ٢٠٣) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً .

(*) زيادة من المحقق .

(٣) حديث صحيح أخرجه البخارى (١٥٢/١) ومسلم (٥٦٧/ ١ / عبد الباقي) ومالك (١٧٧/١ و ١٧٨) والنسائى (٢٧٧/ ١) وأحمد (١٩/٢ ، ٢٤) والطبرانى فى الكبير (٣٢٩ / ١٢) وابن خزيمة فى صحيحه (١٢٧٣) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً .

(٤) ورد هذا المعنى فى عدة أحاديث منها حديث عمرو بن عبسة قال : قلت : يابى الله أخسرنى عن الصلاة ؟ قال : « صل الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع ، فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجد جهنم ، فإذا أقبل الفجر ، فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب فإنها تغرب بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار . رواه أحمد ومسلم .

هذا الوقت ، وأن الشيطان يقارن الشمس (١) حينئذ ليكون السجود له فكيف بما هو أظهر شركاً ومثابته للمشركين من هذا . وقد قال الله تعالى فيما أمر رسوله أن يخاطب به أهل الكتاب : ﴿ قل : يا أهل الكتاب ! تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشركه به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً آرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (٢) وذلك لما فيه من مشابهة أهل الكتاب من اتخاذ بعضهم بعضاً آرباباً من دون الله ، ونحن منهبيون عن مثل هذا ؛ ومن عدل عن هدى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهدى أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى ما هو من جنس هدى النصارى فقد ترك ما أمرو الله به ورسوله .

وأما قول القائل : انقضت حاجتى ببركة الله وبركتك . فمنكر من القول ؛ فإنه لا يقرب بالله فى مثل هذا غيره ، حتى إن قائلًا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما شاء الله وشئت فقال : « أ جعلتني لله نداً ؟ ! بل ما شاء الله وحده » (٣) وقال لأصحابه : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد » (٤) وفى الحديث أن بعض المسلمين رأى قائلًا يقول : نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون . أى تجعلون لله نداً . يعنى تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك

وفى الصحيح عن زيد بن خالد ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الفجر بالحديبية فى إثر سماء من الليل ، فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ؛ فأما من قال : مطرنا

(١) يقارن الشمس : يدنى رأسه من الشمسى . (٢) سورة آل عمران / ٦٤ .

(٣) إسناده حسن : أخرجه ابن ماجه (٢١١٧) وأحمد (٢١٤ / ١) من طريق الأجلح الكندى عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعاً قلت وإسناده حسن من أجل الأجلح وهو ابن عبد الله الكندى وهو صدوق إن شاء الله تعالى .

(٤) إسناده صحيح ك أخرجه ابن ماجه (٢١١٨) وأحمد (٢٩٣ / ٥) من طريق عبد الله بن يسار عن حذيفة رضى الله عنه مرفوعاً وتابع عبد الله بن يسار رضى بن حراش أخرجه أبو داود (٤٩٨٠) (وأحمد (٣٨٤ / ٥ و ٣٩٤ و ٣٩٨) والبيهقى (٢١٦ / ٣) .

بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال

مطرنا بنوء (١) كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب (٢) .. والأسباب التى جعلها الله أسباباً لا تجعل مع الله شركاء وأنداداً وأعواناً

وقول القائل : ببركة الشيخ قد يعنى بها دعاءه ، وأسرع الدعاء إجابة دعاء غائب لغائب . وقد يعنى بها بركة مأموره به وعلمه من الخير وقد يعنى بها بركة معاونته له على الحق وموالاته فى الدين ونحو ذلك . وهذه كلها معانٍ صحيحة . وقد يعنى بها دعاءه للميت والغائب ؛ إذ استقلال الشيخ بذلك التأثير ، أو فعله لما هو عاجز عنه ، أو غير قادر عليه ، أو غير قاصد له : متابعتة أو مطاوعته على ذلك من البدع المنكرات ونحو هذه المعانى الباطلة . والذى لا ريب فيه أن العمل بطاعة الله تعالى ، ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض ونحو ذلك : هو نافع فى الدنيا والآخرة ، وذلك بفضل الله ورحمته .

(١) نوء : النجم إذا مال للمغيب والجمع أنواء ونُوآن ، حكاه ابن جنى وقيل النوء منقوطة نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر ، وطلوع رقبه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته فى المشرق .. قال : وإنما سُمى نوءً لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع ، وذلك الطلوع هو النوء قال أبو عبيد : الأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع فى أزمته السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف ، يسقط منها فى كل ثلاثة عشرة ليلة لنجم فى المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته ، وكلاهما معلوم مسمى ، وانقضاء هذه الثمانية وعشرون كلها مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة ، وكانت العرب فى الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح ، فينبسون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم ، فيقولون مطرنا بنوء الثريا ، والدبران والسماك

انظر لسان العرب (١٧٥/١) ط . صادر .

راجع الكلام على الاستسقاء ، بالأنواء فى كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ؛ تأليف الشيخ عبد الرحمن حسن آل شيخ ص (٤٥٢) ط . قرطبة .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٤١٤٧) ومسلم (١٢٥٠) من حديث زيد بن خالد رضى الله عنه مرفوعاً .

(القطب الغوث الفرد الجامع) (*)

وأما سؤال السائل عن « القطب الغوث الفرد الجامع » . فهذا قد يقوله طوائف من الناس ، ويفسروه بأمر باطلة في دين الإسلام ؛ مثل تفسير بعضهم : أن « الغوث » هو الذى يكون مدد الخلائق بواسطته فى نصرهم ورزقهم ، حتى يقول : إن مدد الملائكة وحيثان البحر بواسطته . فهذا من جنس قول النصارى فى المسيح عليه السلام ، والغالية فى على رضى الله عنه . هذا كفر صريح ، يستتاب منه صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل ؛ فإنه ليس من مخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته ، ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة فى « العقول العشرة » الذين يزعمون أنها الملائكة ، وما يقوله النصارى فى المسيح ونحو ذلك كفر صريح باتفاق المسلمين .

وكذلك عنى بالغوث ما يقوله بعضهم من أن فى الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، يسمونهم « النجباء » فينتقى منهم سبعون هم « النقباء » ومنهم أربعون هم « الأبدال » ومنهم سبعة هم « الأقطاب » ومنهم أربعة هم « الأوتاد » ومنهم واحد هو « الغوث » وأنه مقيم بمكة ، وأن أهل الأرض إذا نابهم نأثبه فى رزقهم ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وأولئك يفزعون إلى السبعين ، والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة ، والسبعة إلى الأربعة إلى الواحد . وبعضهم قد يزيد فى هذا وينقص فى الأعداد والأسماء والمراتب : فإن لهم مقالات متعددة حتى يقول بعضهم : إنه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت ، واسم خضره - على قول من يقول منهم : إن الخضر هو مرتبة ، وإن لكل زمان خضراً ، فإن لهم فى ذلك قولين - وهذا كله باطل لا أصل له فى كتاب الله ولا سنة رسوله ، ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ، ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم . ومعلوم أن سيدنا رسول رب العالمين وأبا بكر وعثمان وعلياً - رضى الله عنهم - كانوا خير الخلق فى زمنهم ، وكانوا بالمدينة ؛ ولم يكونوا بمكة .

وقد روى بعضهم حديثاً فى « هلال » غلام المغيرة بن شعبة وأنه أحد السبعة . والحديث باطل باتفاق أهل المعرفة ، وإن كان قد روى بعض هذه الأحاديث

(*) زيادة المحقق .

أبو نعيم (١) في «حلية الأولياء» والشيخ أبو عبد الرحمن السلمى (٢) في بعض مصنفاته ، فلا تغتر بذلك ؛ فإن فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع ، والمكذوب الذى لا خلاف بين العلماء فى أنه كذب موضوع . وتارة يرويه على عادة بعض أهل الحديث الذين يروون ماسمعوا ولا يميزون بين صحيحه وباطله ، وكان أهل الحديث لا يروون مثل هذه الأحاديث ؛ لما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » (٣) .

وبالجملة فقد علم المسلمون كلهم أن ما ينزل بالمسلمين من النوازل (٤) فى الرغبة والرهبة ؛ مثل دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق ، ودعائهم عند الكسوف . والاعتداد لرفع البلاء ، وأمثال ذلك إنما يدعون فى ذلك الله وحده لا شريك له ، لا يشركون به شيئاً

(١) هو الإمام الحافظ الثقة العلامة أبو نعيم أحمد بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، ولد سنة ٣٣٦ هـ ؛ كان حافظاً مبرزاً على الإسناد ، تفرد فى الدنيا بشيء كثير من العوالى ، وهاجر إلى أقطب الحفاظ ، وصنف العديد من المؤلفات الهامة ومن أعظمها كتابه «حلية الأبياء» ، ومات أبو نعيم سنة ٤٣٠ هـ وله أربع وتسعون سنة .
انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء (٤٥٣/١٧) ، وشنذرات الذهب (٢٤٥/٣) ، وميزان الاعتدال (١١١/١) ، تذكرة الحفاظ (١٠٩٢/٣) .

(٢) هو محمد بن الحسين بن موسى بن خالد بن سالم الراوية المعروف بأبى عبد الرحمن السلمى ، وله لسنة ٣٢٥ هـ فى نيسابور من مدن خراسان ، وتوفى سنة ٤١٢ هـ صنف الكثير من المصنفات الحديثية والتاريخية وغيرها ، وذكر الإمام الذهبى أن مصنفاته بلغت سائة مصنف أو أكثر .

وقد أخذ عليه بعض العلماء بعض المآخذ من أهمها : تأليفه فى التفسير الصوفى .

انظر شنذرات الذهب (١٩٦/٣) ، وتذكرة الحفاظ (١٠٤٦/٣) ، وميزان الاعتدال (٥٢٣/٣) ، البداية والنهاية (١٢/١٢) .

(٣) حديث صحيح : أخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه (٩/١) عبد الباقي ، ابن ماجه (٣٩) وأحمد (٢٠/٥) من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه مرفوعاً
(٤) النوازل : الشدائد التى تحمل بالمرء .

شيئا، لم يكن للمسلمين قط أن يرجعوا بحوائجهم إلى غير الله عز وجل؛ بل كان المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله، أفتراهم بعد التوحيد والإسلام لا يجيب دعاءهم إلا بهذه الوسطة التي ما أنزل الله بها من سلطان! قال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبُ دَعَانَا خِجْبَهُ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضَرْبَهُ مَرَّكَانَ لِمَ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْبِهِ﴾ (١) وقال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرْبُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْتُمْ دَعْوَانُ إِلَّا إِلَٰهَ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ، أَعْبُدُوا اللَّهَ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلْ إِلَٰهَ تَدْعُونَ، فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ، وَتَسْأَلُونَ مَا تَشْرَكُونَ﴾ (٣) وقال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ. فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم استسقى لأصحابه بصلاة وبغير صلاة، وصلّى بهم للاستسقاء وصلاة الكسوف. وكان يقتت في صلاته فيستنصر على المشركين وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده، وكذلك أئمة الدين ومشايخ المسلمين. وما زالوا على هذه الطريقة.

ولهذا يقال: ثلاثة أسياء مالها من أصل (باب النصيرية) (٥) و (منتظر

(١) سورة يونس / ١٢

(٢) سورة الأنعام / ٤٠ ، ٤١ .

(٣) سورة الأنعام / ٤٢ ، ٤٣ .

(٥) النصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري، أصحابها يدعون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجود جزء إلهي في علي وأهل بيته، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم (العلويين) تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضة مؤسس هذه الفرقة أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري (ت ٢٧ هـ) ادعى النبوة والرسالة، وغلا في حق الأئمة إذ نسبهم إلى الألوهية.

قال ابن نصير فيب بإبحة المحارم وأحل اللواط كما يعظمون الحمره ويحتسونها وهذه الفرقة تبغض الصحابة بغضاً شديداً، كما يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، وقد قال عنهم ابن تيمية أنهم أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين.

انظر: (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة) ص (٥١١)، (الخرقات الباطنية في العالم الإسلامي) للدكتور / محمد أحمد الخطيب ص (٣١٩).

الرافضة (١) و (غوث الجهال) ؛ فإن الناصرية تدعى في الباب الذى لهم ماهو من هذا الجنس أنه الذى يقيم العالم ، فذاك شخصه موجود ؛ ولكن دعوى النصيرية فيه باطلة . وأما محمد بن الحسن المنتظر (٢) ، والغوث المقيم بمكة ، ونحو هذا : فإنه باطل ليس له وجود .

(١) الرافضة قوم من الشيعة وقد قيل فى سبب تسميتهم بذلك أقوال متعددة ، والراجع فى ذلك أنهم رفضوا زيد بن على - رضى الله عنه - لما رفض أن يتبرأ من أبى بكر وعمر ، وقال بإمامتهما ، فقال زيد بن على رفضونى ، فسماوا الرافضة ، وقد غالى بعضهم فى على - رضى الله عنه - وهم الغالبة فجعله بعضهم إلهاً ، وجعله البعض نبياً ، وقد قتل على رضى الله عنه بعضهم وأحرق بعضهم فى زمانه ، والغالية منهم تنكروا يوم الحساب ، وأجمعت الرافضة على أن الأئمة معصومون ، لا يجوز عليهم الخطأ والغلط والسهو ، وقالوا بتفضيل على سائر الصحابة ، وتبرأوا من أبى بكر وعمر وكثير من الصحابة - رضى الله عنهم - إلا فرقة الزيدية . ولقد انقسمت الرافضة إلى فرق عديدة ، فانقسمت إلى أربعة أقسام ؛ زيدية ، وإمامية ، وكيسانية ، وضلاة ، ولقد افرقت هذه الفرقة إلى فرق عديدة ، كل فرقة تكفر سائرهما ، وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الإسلام ، فأما فرق الزيدية وفرق الإمامية فمعدودون فى فرق الأئمة .

راجع ذلك (الفرق بين الفرق) لعبد القاهر البغدادي ، (منهاج السنة) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، (البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان) لعباس السكسكى .

(٢) محمد بن الحسن العسكري (الخالص) بن على الهادي ، أبو القاسم ، آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، وهو المعروف عندهم بالمهدى ، وصاحب الزمان والمنتظر ، والحجة وصاحب السرداب ، ولد فى سامراء سنة ٢٥٦ هـ ، ومات أبوه وله من العمر نحو خمس سنين ، ولما بلغ التاسعة أو العاشرة من عمره أو التاسعة عشر دخل سرداباً فى دار أبيه بسامراء ولم يخرج منه . قال ابن خلكان : والشيعة ينتظرون ظهوره فى آخر الزمان من السرداب بسر من رأى . وفى المؤرخون كما فى (منهاج السنة) من يرى أن الحسن بن على العسكري لم يكن له نسل ، وأن هذا الشخص المزعوم وهم من أوهام الشيعة .

انظر : (منهاج السنة النبوية) لابن تيمية (٢/١٣١) ، و(الأعلام) للزركلسى (٦/٨٠) .

وكذلك ما يزعمه بعضهم من أن القطب الغوث الجامع بمد أولياء الله ، ويعرفهم كلهم ، ونحو هذا : فهذا باطل . فأبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله ، ولا يمدانهم فكيف بهؤلاء الضالين المغترين الكذابين؟! ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد ولد آدم إنما عرف الذين لم يكن رأيهم من أمته بسيماء الوضوء ، وهو الغرة (١) والتحجيل (٢) ، ومن هؤلاء من أولياء الله من لا يحصيه إلا الله عز وجل . وأنبياء الله الذين هو إمامهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم ؛ بل قال الله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ (٣) . وموسى لم يكن يعرف الخضر ، والخضر لم يكن يعرف موسى ؛ بل لما سلم عليه موسى قال له الخضر : وأنتى بأرضك السلام ؟ فقال له : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم . وقد كان بلغه اسمه وخبره ، ولم يكن يعرف عينه . ومن قال إنه نقيب الأولياء أو أنه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل .

والصواب الذى عليه المحققون أنه ميت ، وأنه لم يدرك الإسلام ولو كان موجوداً فى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوجب عليه أن يؤمن به ، ويجاهد معه ، كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره ولكان يكون فى مكة والمدينة ، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم

(١) الغرة : بياض فى الجبهة ، وغرة الفرس : البياض الذى يكون فى وجهه والأغر : الأبيض من كل شيء .

قال ابن برى : « ... وفى الحديث : غر محجلون من آثار الوضوء ؛ الغر : جمع الأغر ، من الغرة بياض الوجه ، يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة » أهـ . انظر لسان العرب (١٤ / ٥) ط . دار صادر .

(٢) التحجيل : الحجل : البياض نفسه ، والجمع أحجال ، والتحجيل . بياض يكون فى قوائم الفرس كلها ؛ قال الشاعر :

ذو مئة مُحجَّلُ القوائم

قال ابن الأثير : « ... ومنه الحديث : أمتى الغر المحجلون أى بياض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام ... » أهـ .

(٣) سورة غافر / ٧٨ .

سفيتهم ، ولم يكن مختفياً عن خير أمة أخرجت للناس ، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم .

ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة لا في دينهم ولا في دنياهم ، فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأُمى - صلى الله عليه وآله وسلم - الذى علمهم الكتاب والحكمة ، وقال لهم نبيهم : « لو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتونى لضلتم » (١) وعيسى بن مريم - عليه السلام - إذا نزل من السماء إنما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم . فأى حاجة لهم مع هذا إلى الخضر وغيره !؟ والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبرهم بنزول عيسى من السماء ، وحضوره مع المسلمين ، وقال : « كيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها » (٢) . فإذا كان النبيان الكريمان اللذان هما مع إبراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد ولد آدم ، ولم يحتجوا عن هذه الأمة لأعوامهم ولا خواصهم ، فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم . وإذا كان الخضر حياً دائماً فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قط ، ولا أخبر به أمته ، ولا خلفاؤه الراشدون .

وقول القائل : إنه نقيب الأولياء . فيقال له من ولاء النقابة ، وأفضل الأولياء أصحاب

(١) إسناده حسن : أخرجه أحمد (٣٨٧/٣) والدارمى (١١٥/١) وابن أبى عاصم فى السنة (٢/٥) وابن عبد البر فى « جامع بيان العلم وفضله » (٤٢/٢) من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر رضى الله عنه مرفوعاً .

وقلت : وهذا سند ضعيف من أجل مجالدين سعيد الهمدانى فقد قال ابن حجر فى التقريب : « ليس بالقوى : وقد تغير فى آخر عمره » لكن الحديث قوى فإن له شواهد كثيرة . انظرها فى إرواء الغليل (٣٤/٦ ، ٣٥ ، ٣٦)

(٢) عزاه فى كنز العمال إلى الحاكم ، وهو يغيد باطلافة أن الحاكم أخرجه فى المستدرک ولكن لم أره فيه فلعنه خفى على مكانه والله أعلم .

وأخرج ابن أبى شيبعة فى مصنفه (٢٩٩/٥) من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير قال : لما أشهد فوق أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على من أصيب مع زيد يوم موته قال النبي ﷺ : ليدركن المسيح من هذه الأمة أقواماً إنهم لمثلکم أو خير ثلاث مرات ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها . وحسن إسناده الحافظ فى الفتح (٦/٧) .

محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وليس فيهم الخضر ، وعمامة ما يحكى فى هذا الباب من الحكايات بعضها كذب ، وبعضها مبنى على ظن رجل ؛ مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر وقال : إنه الخضر ، كما أن الراضية ترى شخصاً تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم ، أو تدعى ذلك ، وروي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال - وقد ذكر له الخضر - من أحالك على الغائب فما أنصفك .

وما ألقى هذا على ألسنة الناس إلا الشيطان . وقد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا الموضوع .

وأما إن قصد القائل بقوله « القطب الغوث الفرد الجامع » أنه رجل يكون أفضل أهل زمانه فهذا ممكن لكن من الممكن أيضاً أن يكون فى الزمان اثنان متساويان فى الفضل ، وثلاثة وأربعة ، ولا يجزم بأن لا يكون فى كل زمان أفضل الناس إلا واحداً ، وقد تكون جماعة بعضهم أفضل من بعض من وجه دون وجه ، وتلك الوجوه إما متقاربة وإما متساوية .

ثم إذا كان فى الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته « بالقطب الغوث الجامع » بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا تكلم بهذا أحد من سلف الأمة وأئمتها ، وما زال السلف يظنون فى بعض الناس أنه أفضل أو من أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه الأسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ؛ لا سيما أن من المنتحلين لهذا الاسم من يدعى أن أول الأقطاب هو الحسن بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - ثم يتسلل الأمر إلى ما دونه إلى بعض مشايخ المتأخرين ، وهذا لا يصح لا على مذهب أهل السنة ، ولا على مذهب الراضية . فأين أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ؟ والحسن عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد قارب سن التمييز والاحتلام .

وقد حكى عن بعض الأكابر من الشيوخ المنتحلين لهذا : أن « القطب الفرد الغوث الجامع » ينطبق علمه على علم الله تعالى وقدرته على قدرة الله تعالى ، فيعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله . وزعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كذلك ، وأن هذا انتقل عنه إلى الحسن ، وتسلسل إلى شيخه . فبينت أن هذا كفر صريح ، وجهل قبيح ،

وأن دعوى هذا فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ كُفْر ، دَع مَاسِوَاه ، وَقَدْ قَالَ
 اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ ﴾
 ﴿ (١) الْآيَةُ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
 أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكُنَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنَى السُّوءِ ﴾ ﴿ (٢) ﴾ يَقُولُونَ لَوْ كَانُوا لَنَا مِنْ
 الْأَمْرِ شَيْءًا مَا قَتَلْنَا هَهُنَا ﴾ ﴿ (٣) الْآيَةُ وَقَالَ تَعَالَى ﴾ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ
 إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ ﴿ (٤) ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا
 خَائِبِينَ ، لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ﴿ (٥)
 وَقَالَ تَعَالَى ﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدَى مِنْ أَحْسَبْتِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدَى مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ
 بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿ (٦) .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُنَا أَنْ نَطِيعَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ﴿ مَنْ يَطْعِ
 الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ ﴿ (٧) ، وَأَمْرُنَا أَنْ نَتَّبِعَهُ فَقَالَ تَعَالَى ﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
 فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ﴿ (٨) .

وَأَمْرُنَا أَنْ نَعَزِّرَهُ وَنُوقِرَهُ وَنُنَصِّرَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الْحَقِيقِ مَا بَيْنَهُ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ،
 حَتَّى أَوْجِبَ عَلَيْنَا أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَهْلِينَا ، فَقَالَ تَعَالَى ﴾ النَّبِيُّ أَوْلَى
 بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ ﴿ (٩) وَقَالَ تَعَالَى ﴾ قُلْ : إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
 وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ
 مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ﴿ (١٠) . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ

(١) سورة الأنعام / ٥٠

(٢) سورة الأعراف / ١٨٨ .

(٣) سورة آل عمران / ١٥٤ .

(٤) سورة آل عمران / ١٥٤ .

(٥) سورة آل عمران / ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٦) سورة القصص / ٥٦ .

(٧) سورة النساء / ٨٠ .

(٨) سورة آل عمران / ٣١ .

(٩) سورة الأحزاب / ٦ .

(١٠) سورة التوبة / ٢٤ .

والده والناس أجمعين» وقال له عمر رضى الله عنه : يا رسول الله ! أنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسى فقال : « لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك » قال : فلأنت أحب إلى من نفسى قال : «الآن يا عمر» (١) وقال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلتقى فى النار » . (٢)

وقد بين فى كتابه حقوقه التى لا تصلح إلا له وحقوق رسله وحقوق المؤمنين بعضهم على بعض ، كما بسطنا الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون ﴾ (٣) فالطاعة لله والرسول ، والخشية والتقوى لله وحده ، وقال تعالى : ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا : حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ؛ إنا إلى الله راغبون ﴾ . (٤) فالإيتاء لله والرسول ، والرغبة لله وحده ، وقال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٥) لأن الحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله . وأما الحسب فهو لله وحده ، كما قال : ﴿ وقالوا حسبنا الله ﴾ (٦) ولم يقل : حسبنا الله ورسوله ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ (٧) أى يكفيك الله ويكفى من اتبعك من المؤمنين ، وهذا هو الصواب المقطوع به فى هذه الآية ولهذا كانت كلمة إبراهيم ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - حسبنا الله ونعم الوكيل . والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم . وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١١ / ٥٢٣ / فتح) وأحمد (٥ / ٢٩٣) من حديث عبد الله بن هشام رضى الله عنه مرفوعاً .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١ / ٥٨ / ٥٦١) ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضى الله عنه مرفوعاً .

(٣) سورة النور / ٥٢ . (٤) سورة التوبة / ٥٩ . (٥) سورة الحشر / ٧ .

(٦) سورة آل عمران / ١٧٣ . (٧) سورة الأنفال / ٦٤ .

فهرس الموضوعات

الصفحة

٣	مقدمة
٦	نبذة مختصرة عن شيخ الإسلام ابن تيمية
١٠	توثيق الرسالة
١١	النص المحقق
١١	نص سؤال الفتوى
١٢	الجواب عن السؤال
١٤	ما لا يقدر عليه إلا الله لا يجوز أن يطلب لإمته
١٤	ما يقدر عليه العبد يجوز أن يطلب منه
١٥	طلب الدعاء من الحي
١٧	زيارة القبور المشروعة
١٩	فصل : أقسام سؤال الناس للمقبور
٢٣	فتوى فى بناء المساجد على القبور والندرها
٢٩	السؤال بالجاء ونحوه
٣١	التوسل المشروع
٣٢	الاستغاثة بالأولياء
٣٦	بداية ظهور الشرك بأرض مكة
٣٨	التمسح بالقبور وتقبيله
٣٨	وتعظيم الشيوخ والكبراء بوضع الرأس والانحناء
٤١	نهى الرسول ﷺ عن الشرك كبيره وصغيره
٤٤	القطب الغوث الفرد الجامع
٥٣	الفهرس